

لا تفكر في الأمر

# فقط اكتب

مجرد كلمات مكتوبة في قطعة من الورق دون معنى  
دون قصد فقط كلمات بدون مشاعر ودون اي حوافز  
ظاهرة كانت ام خفية

سيد خالد محمد مصطفى



## المقدمة:

أرجو المعذرة هذا الكتاب لا يحتوي على مقدمة هو فقط عبارة عن خزعات اكتبها في وقت فراغي، لا اعتقد انني أعرف كيفية كتابة مقدمة كباقي الكتب أعتقد أنني سوف أملاً هذه الصفحة بكلمات منمقة لعلني أنفذ بفعلتي هذه.

ارجو الانتباه ان ما يُذكر في هذه الصفحات من أسامي و تواريخ و أماكن هو مجرد كلام و قصص من وحي الخيال و اي تشابه بينه وبين الواقع يكون مجرد اقتباس منه، و من المؤكد انه لا يوجد خيال بدون حقيقة و بالمثل معه لا حقيقة دون خيال .

من المحتمل ان تجد بعض التباينات و الاختلال في بعض هذه الكتابات، انا هنا اكتب ما يطرأ بعقلي لا أهتم بالتفاصيل أو ارتباطها ببعضها و لا أركز على الإملاء الصحيح ، من المحتمل أيضاً أن تجد تدخل في الراويات و قصة صغيرة داخل قصة اكبر منها لكنها مشتركة معها في المعنى أو الرسالة.

قبل ان تبدأ بقراءة هذا الكتاب يجب علي تحذيرك انني لست محترفاً في صناعة الكتب، لكن أعلم ما يدور في عقلي و أعلم كيف أصيغه بالكلمات كما أريده أن يُصاغ، أوكد لك انك لم ولن تجد كتاباً مثل هذا؛ ليس فخراً و لكن الجو العام للكتاب غريب و مختلف عن بقية الكتب الأخرى (التي قرأتها انا على الأقل). صديقي أقترح عليك أن تأتي بكوبٍ من القهوة و انت تقرأ هذا الكتاب القصير و جرّب ان تحتسيها بدل ان تشربها و أرجو ان تستمتع بقراءة هذا الكتاب بقدر ما استمعت انا بكتابته .



# المجلد الأول

*sayed khalid*



"التاريخ لا يقتصر فقط على أحداث الماضي ولكن حاضرننا يؤثر على نظرتنا للتاريخ".

لعلّ هذا الاقتباس من الشاعر الأمريكي {توماس أليوت} أفضل ما أبدأ به هذا الكتاب، دعنا نتفق ألاّ حاضر بدون تاريخ و حاضرننا يحدد ما إن كان تاريخنا جيداً أم لا ، من المرجح أنّك مررت فعلاً بموقف حيث كان تصرف معيّن أو عادة معيّنة من قبل بضعة سنين شيئاً غريباً و غير محمود لكن تتفاجأ الآن انه اصبح شيء عادياً و الكل يفعلُه هذا ما قصده توماس بمقولته ، أن الحاضر يؤثر على التاريخ و إن كان مجازاً فهو لا يؤثر في التاريخ نفسه بل يؤثر على رؤيتنا له.

اذا سألت أحد العامة ماذا تعرف عن {هتلر} الزعيم النازي الشهير سوف يجيبك انه مجرم حرب و أن أفعاله كانت غير إنسانية ، و أعتقد أن هذا سوف يكون ردّ معظم الناس ، دعني اخبرك شيئاً ؛ لم يكن هتلر في زمانه مجرماً كما نعرفه الآن ؛ من سخرية القدر أنه كان العكس تماماً كان يعتبر رمزاً للسلام و المعرفة بسبب ما قام به من فرض السلام على الدول التي أُحتِلَّت على يديه بما يسمى بالسلام الإجباري.

هتلر يا عزيزي عندما كان يريد إحتلال دولة ما ، لم يعلن الحرب عليها ؛ بل جاء في شكل مَلَكٍ يمد يد العون ، و سُمي هذا الأسلوب لاحقاً بـ [حرب التنوير] و تمكّن من خلاله ان يحتل الدنمارك و النرويج و بلجيكا و هولندا و لكسمبورج و العديد من الدول الأخرى دون أن يقيم حرباً عليها ، حتى انه تمكن من غزو فرنسا دون ان تتحرك اوروبا قيّد أنملة أو تستنكر عليه فعله بل جلست تشاهده من مقعدها.



هل لي ان أخبرك أيضاً أن هتلر الزعيم النازي الذي قتل و حرق و عذب جُلَّ يهود المانيا آنذاك و ارتكب جرائم الحرب و يمكن لك اعتباره من الاسباب الرئيسية لقيام الحرب العالمية الثانية قد فاز بجائزة نوبل للسلام! ، قد يبدو كلامي كذبا لكن هذا فعلياً ما حدث.

"لا توجد حقيقة مطلقة ؛ فقط تصوراتنا عنها".

مقولة الأديب الفرنسي المعروف {جوستا فلابير}، الحقيقة يا صديقي ان هتلر لم يكن الدكتاتور الوحيد في زمنه لكن التاريخ الذي نقل لنا جعله في تلك الصورة المتعارفة، في حين ان هناك دكتاتور اخر في نفس زمنه و جرائمه ابشع من جرائم هتلر لكن الفرق بينه و بين هتلر انه كان يحارب مع الجبهة التي انتصرت آنذاك [الحلفاء] لعلك عرفتة عزيزي القاريء هو الرجل الذي أسمّيه هتلر الثاني {جوزيف ستالين}.

لست هنا لأحدثك عن التاريخ أو أُلقي عليك محاضرة ؛ المغزى من القصة التي ذكرتها أنك لا تستطيع تغيير أخطاء الماضي إلا إذا استطعت السفر عبر الزمن و هذا طبعا مستحيل (حتى يوم طباعة هذا الكتاب) و لكن ما يمكنك فعله هو تغيير نظرة الناس إليها ، في إعتقادي هذا اسهل من محاولة السفر عبر الزمن و كل ما عليك فعله هو ايجاد سبب مقنع يجعل أخطائك السابقة كأنها إنجازات أو على الأقل انها ليست اخطاءً، اثبت لنا التاريخ انه من السهل ان تغير وجهة نظر دول و جماعات كاملة عن التاريخ سواء بقول الحقيقة المطلقة (التي هي غير موجودة) او عن طريق كذبة كبيرة تخدع بها العالم كله كما تفعل امريكا في افلامها بأن تُريكَ ان جنودها هم المظلومون و ان الدول التي غزوها هي الشرير كما في العراق و افغانستان و غيرهما مثلهما كمثل هتلر.



الجو عاصف اليوم، كنتُ مستلقياً في سريري بالخارج عندما بدأت قطرات المطر بالنزول؛ كانت باردة ومريحة للأعصاب خصوصاً أنَّ ما حولي كان هادئاً؛ لا ضجيج ولا رائحة لدخان المصانع، في جُرح هذا الليل كنتُ انا وسريري وقطرات المطر وحدنا.

"ماذا علي ان افعل في هذا الجو الجميل؟".

هذا ما راودني في عقلي حينها؛ أعتقد ان هذا الجو سوف يذكر كل محبوب بمحبوبته فلربما يذهب اليها ويتنزه معها أو على الأقل يتصل عليها ويسمعها كلاماً جميلاً متغزلاً بها مثل انه أول ما جاءت على باله نزل المطر، أو ان هذا المطر هو بكاء السماء لفراقك، طبعاً هذا كله هراء؛ السماء لم ولن تمطر بسبب ذكر محبوبتك يا رجل، ولا هي تبكي بسبب فراقك عن محبوبتك.

في نفس الوقت و الجو، هناك من كان ذاهباً لمجلس الخمر لأن هذا الجو على حد كلامهم لا يفوّت ويجب عليه الاستمتاع به قبل زواله. هناك من كان بالخارج وما ان سمع دويّ الرعد سابق الزمن لكي يصل الى بيته قبل ان تضربه الأمطار في الطريق، هناك من بدأ بفتح المجاري استعداداً لأي كارثة يمكن ان تحصل، هناك ايضاً من يتجول في الشوارع ممتعاً نفسه بالمطر ورائحة الأرض بعد نزوله.

كل هذا وانا مستلقي في سريري غارق في التفكير ماذا انا بفاعل في هذا الجو العليل فانا ليست لدي محبوبة ولا اشرب الخمر ولا استمتع غالباً برائحة المطر، ما وجدت لنفسني غير ان اواصل نوم، نعم انا لا اهتم لكل هذا انا فقط أريد ان استلقي في سريري وانا م؛ وفعلت ذلك وتركت مشاكل العالم للعالم.



الساعة الآن الواحدة بعد منتصف الليل ، لم استطع النوم ،لما  
لا اعرف انا فقط لم استطع ،الخبر الجيد ان لدي خمس ساعات  
قبل شروق الشمس ؛الخبر السيء ان لدي موعداً مهماً بعدها  
يجب علي ان اخذ القسط الكافي من الراحة.

تقول الخرافات اذا استيقظت في منتصف الليل دون اي سبب  
هذا يعني ان هنالك شخصٌ يفكر فيك ،هل ياترى هناك احد  
يفكر بي ؟ لا اعتقد ؛صراحة لا اهتم ،انا لا اؤمن بتلك الخرافات  
ولا أعيرها اي اهتمام ،تلك الخرافات يقوم باختلاقها بعض  
البشر لكي يقللوا من شعورهم بالوحدة ، لا احد يهتم بأمرك  
يا رجل وبالتأكيد لا احد يفكر بك ،واصل نومك ودعك من هذه  
الخرافات التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

لا زلتُ في نفس المُفضلة ؛انا لا استطيع النوم ولا بدّلي من  
الإستيقاظ باكراً لموعدي ،"هل الغي الموعد واكسب راحة  
بالي ؟"، هذا ما بادرن ذهني للحظة ، لا استطيع هذا موعد مهم  
يجب علي إيجاد طريقة لتنويم نفسي قبل بزوغ الفجر بأي  
ثمن ، جربت ان اعدّ الخراف او النجوم ؛ لكن هذا لم يُجدي نفعاً  
جربت ان اغمض عينيّ لعلّي انعس وانا م ؛ هذا لم يُجدي نفعاً  
ايضاً.

وجدتها ! لما لا اتخيل نفسي في مواقف من المرجّح انها لن  
تحدث لي ابدأ طوال عمري ،سمعت انها طريقة فعالة للنوم  
استغرقت في تفكيري كثيراً ،و غرقت في احلامي الوردية كما  
يقولون ، تخيلت نفسي بعد عشرين سنة وتخيّلت زوجتي و  
أولادي أرى من مرّقي هذا ؛ حياتي سعيدة بعد عشرين سنة  
لم أحسّ بالوقت إلا بعد ان أشعل احدهم الضوء ،صرخت فيه  
ألا ترى انني نائم ! يا لها من مفاجأة هذا ليس ضوء مصباح ؛هذا  
ضوء الشمس وفوّت موعدي ونسيت هدفي من التفكير.



أنا لست مثل الجميع؛ أنا مختلف، من يوم مولدي تقرر أن أكون مختلفاً من باقي البشر، ليس بالضرورة القول أنني أقل منهم فقط الطريق الذي يجب عليّ سلكه أصعب من الطرق العادية التي يسلكها معظم الناس.

لا تُسيء فهمي أنا لا ألعن حظي أو أشكي لأحد؛ أنا فقط أقول الحقيقة، معظم الناس يسيرون في طريقهم المعبّد بكل سهولة ويُسرّ دون أن يتمعّنوا في سهولته، بينما أنا أسيّر في طريق وعرة لا أحد أو قليل من يسلكها معي. حياتي أصعب من غيري، هناك أشياء لا أستطيع فعلها كباقي البشر أو لا أستطيع فعلها بسهولة كما يفعلون. ليس لديّ طريق سهل أسلكه؛ أنا السالك الوحيد في هذا الدرب الصعب لا اهتم لو أنني الذي اخترت السير فيه؛ أو أنه فُرض عليّ سلكه أنا مواصلٌ سيري في هذا الطريق دون تأنّي أو هوان مهما كانت الظروف أنا أسير شامخاً في هذا الطريق الذي إذا سلكه غيري لوجّدته مرمياً في قارعة الطريق.

لا ألوم أصحاب الطرق السهلة؛ فالإنسان بطبيعته إذا وجد الراحة واليسر في شيء ما؛ لم يلتفت للناس الذين يجدون بعض الصعوبة لفعل نفس الشيء. يشعرون أن ما يملكونه من طرق معبّدة هو حقٌّ بديهي.

هناك بعض الأشخاص الموهوبين الذين وُلدوا بصفات أحسن من باقي البشر بالفطرة، أنا لست مثلهم، أنا لست موهوباً، كل ما أعرفه أو أنا خبير فيه اكتسبته بالعمل الشاق والممارسة دون كُلال، لم يقم أحد بتسليمي ما تعلمته في صحنٍ من فضة، أنا الذي عملت بجدٍ على ذلك، لا أُلقي بالٍ للطرق السهلة لأنني أنا "رجل الطرق الصعبة".



"المعاناة لا تعني أنك ستنجح؛ يمكن أن تعاني وتموت".

أقتبس هنا من الفيلسوف الروسي الشهير {ليو تولستوي} هذه الجملة كثيراً ما تتردد في ذهني؛ الإنسان بطبيعته يرى أن كل تعب أو مجهود يجب أن يكافأ، لا أعلم من وضع هذه القاعدة لكنها غير صحيحة (في معظم الأحيان) أنت لا تُكافأ وتحصّد ثمار تعبك على قدر مجهودك؛ أنت تُكافأ على قدر إنتاجك!.

انا لا اعني بالإننتاج المعنى الصناعي والإقتصادي له؛ انا اعني به مقدار ما تخرجه من أشياء يمكن الإستفادة منها، يمكنك أن تقضي يومك كله في إصلاح سيارتك؛ لكن ان لم تُحدد او على الأقل تبدأ في حل المشكلة فأنت كأنك لم تفعل شيئاً البتّة يا صديقي كل ما فعلته هو إضاعة يوم في الالاشيء، حالك في نهاية اليوم كحالك في بدايته.

هذا ما قصده تولستوي بمقولته، اعني يا رجل، مع احترامي لك، لا تتوقع ان تصلح السيارة نفسها لأنك فقط تعبت عليها التعب شيء والإنجاز شيء آخر.

دعني أعطيك نصيحة يا صديقي، سمّها قاعدة ان شئت اعمل دائماً للأفضل، واستعد للأسوء واخفض سقف توقعاتك دائماً وتقبل ما يكتبه الله لك بصدر رحب، انت لست مخطئاً افضل من الله سبحانه وتعالى.

تذكر قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب "لو عرضت الأقدار على الإنسان لا اختار القدر الذي اختاره الله له". تذكر ان لكل سبب مُسبّب وان كل شيء مكتوب وانك لست بدارٍ القدر ولا حتّى مُطلّع عليه فما كان مكتوباً لك سيأتي اليك دون تعب.



# المجلد<sup>١٣</sup> الثاني

*sayed khalid*



الساعة الرابعة صباحاً، الجوُّ جميل وهاديء، لا تَسْمَع سوى غناء العصفير وصوت طباعتي، ربما يجب علي النوم بدل ان اكتب، لا يهم عليّ انهاء هذه الصفحة على الأقل.

"لم أسامح أخي التوأم الذي هجرني ل ستّ دقائق في بطن أمي و تركني هناك وحيداً، مذعوراً في الظلام، عائماً كرائد فضاء في بطن أمي، مستمعاً إلى القُبَلات تنهمر عليه من الجانب الآخر وانا هنا في الظلام.

كانت تلك أطول ستّ دقائق في حياتي، وهي التي حددت في النهاية أن أخي سيكون البكر والمُفَضَّل لأمي. منذ ذلك الحين صرْتُ أَسْبِقُ أخي في كل الأماكن: من الغرفة، من البيت، من السينما، مع ان ذلك كان يكلفني مشاهدة نهاية الفيلم.

في يومٍ من الأيام التَّهَيَّتُ بشيء فخرج أخي قبلي إلى الشارع، وبينما كان ينظر إليّ بإبتسامته الوديدة؛ دهسته سيارة! أتذكر أن والدتي لدى سماعها صوت الضربة، ركضت من المنزل ومرت من أمامي، ذراعاها كانتا ممدودتان نحو جثة أخي لكنّها تصرخُ بإسمي!

حتّى هذه اللحظة لم أُصحح لها خطأها أبداً، ولم أنوي ذلك؛ في نهاية الأمر:

"مت أنا وعاش أخي"

قصة قصيرة للكاتب الإسباني {رافاييل نوبو} ليس هناك حكمة او مغزى حقيقي من وراء القصة، او ربما هنالك؟ انا صراحة لا اهتم، لقد استمتعت وانا اقرأ هذه القصة القصيرة لا اعلم ان كان رافاييل قد حزن لموت اخيه؛ او فرح لانه قد صار المفضّل عند امه، اعتقد انا الكاتب نفسه لا يعرف الجواب هذا فعلاً مُحَيَّر.



الجو جميل اليوم مرةً أخرى، صباح هذا اليوم كان هادئاً للغاية، نظرت إلى هاتفي؛ انه الأحد، لدي محاضرات مهمة في هذا اليوم لم آخذ من الزمن طويلاً حتى أدركتُ انها تشير الى الساعة السابعة والنصف لا فائدة من الاسراع انا بالفعل متأخر.

وصلت لحرم الجامعة وحَضَرْتُ ما استطعت للحاق به من محاضرات، رفعت هاتفي مرةً أخرى، أجد ان صديقي يتصل بي؛ هو تحت مظلة في حرم الجامعة، وصلت اليه؛ سَلِّمْ عليّ سلاماً عادياً ككل مرة، بدأنا نتبادل اطراف الحديث كالعادة، كل شيء كان عادياً، او هذا ما ظننته على الأقل.

رَنَ هاتف صديقي، لمحت بطرف عيني اسم فتاة و بالقرب من اسمها قلب احمر، هذا غير معتاد، لم آبه كثيراً وانشغلت بهاتفي انا الآخر، انهى صديقي المكالمة؛ وقال لي ان هناك صديقة له قادمة هنا، لم اهتم كثيراً، كنتُ مهتماً أكثر بماذا سأفطر اليوم، جاءت تلك الفتاة تمشي مشيةً غريبة وتلبس لباساً أقل ما يقال عنه انه عارٍ تماماً، انها تبدو مثل اولئك النسويات، قام لها صديقي وسالته بالأحضان! انا اعرف صديقي هذا منذ عشر سنوات؛ لم يبتسم فيها عند سلامه لي. هملها صديقي بهمسٍ "صاحبي هذا يكره النسويات" التفتت إليّ وقالت اذ أنت (ذكوري) اجبتها من قال لك ذلك قالت تبدو مثلهم، اجبتها انا لست كذلك، أشاحت نظرها عني والتفتت إلى صديقي قائلةً له "انا أشعر بالبرد"، اجبتها انا ربما اذا فقط ارتديتي ملابساً أكثر لما شعرتي به (مستهزئاً) ردّت قائلة انت فقط غاضب لأنني ارتدي ما يحلولي اجبتها لما أغضب انتي التي تشعرين بالبرد الآن وانتي التي ستشعرين بحرارة الجحيم لاحقاً، انتهى النقاش؛ لم تنطق بعد ذلك بكلمة، استأذنت من صديقي وذهبت ابحت عن فطور لي.



التاسع من ديسمبر الجو باردٌ اليوم ابرد من المعتاد وقت مثالي للذهاب إلى المقهى وقراءة كتاب مع احتساء كوب من القهوة الساخنة.

بالفعل ذهبت إلى مقهى المفضّل وطلبت قهوتي المعتادة؛ مكعبان من السكر وثلاثة نُقْطٍ من اللبن منزوع الدسم، اعتدت الذهاب إلى هذا المقهى منذ زمن بعيد؛ هو مقهى صغير في زاوية الشارع؛ يتّسم بالهدوء وليس مكتظّاً بالناس، مناسباً للغاية للقراءة والإسترخاء لكن اليوم كان مختلفاً.

الوقت كان باكراً للغاية؛ ابكر من ان يستيقظ فيه شباب هذا الزمن الذين يسهرون طوال الليل وينامون بالنّهار؛ او هذا ما ظننته على الأقل، بدأت القراءة، اتذكر انه كان كتاباً لمحمود درويش، لم تمض لحظات حتّى دخل المقهى شاب ومعه فتاة؛ لم اهتم كعادتي؛ كنت منغمساً في كتابي؛ لكن علّت اصوات الضحكات في المقهى، نعم هي صادرة من نفس ذاك الشاب والفتاة، حاولت تجاهل الصوت لكنه كان أعلى من قدرتي على التجاهل، طلبت من النادل ان يطلب منهما اخفاض صوتهما فهذا مقهى وليس مطعماً، ذهب النادل اليهم وتكلم معهم قليلاً لم اسمع ما قال لكن م اتذكره هو شكل ذاك الشاب الذي ثار غضباً في النادل، كان شاباً يبدو انه في مُقْتَبِل العشرينات صابغاً شعره بلونٍ غريب، ضخّم البنية، اظنّه فقط كان يريد عرض عضلاته امام تلك الفتاة، صرخ ذاك الشاب في النادل وهزّئ به رجع النادل الى المنضدة واعتذري، لا بل انا الذي يجب عليه الاعتذار، دفعت حسابي واخذت كتابي وذهبت لمنزلي؛ طوال الطريق وانا أتساءل: هل اصبح الزمان فتياً والمقاهي اصبحت اماكن للصخب والمواعدة؟ ام انا الذي اصبحت عجوزاً على هذا الزمان؛ انا حقّاً لا أعلم.



الخامس والعشرون من ديسمبر، فجر الأحد، الجوُّ لطيف هذا اليوم؛ ليس حاراً ولا بارداً اعتقد هذا ما يُطْلِق عليه خبراء الطقس بالمعتدل، مناسبٌ للكتابة أو الراحة والاسترخاء؛ اعتقد اني سأكتب؛ فأنا أجد راحتي في الكتابة.

لما كنتُ شخصاً وحيداً، لا أحد يقف معي تحت ضوء البرق والمطر، انا بالفعل محاطٌ بكثير من البشر، لكن لا اظن ان هناك احد مستعدٌ للوقوف معي، هل انا نفسي اريد انا يَقِف معي احد؟ تساءلت هكذا دائماً، منذ صغري تعودت ان لا اطلب المساعدة من احد، دائماً ما أواجه مشاكل وحدي، لا اشارك مشاكلي مع الناس لانني اعلم جيداً ان نصف أولئك الناس لا يهتم والنصف الاخر سيفرح عند سماعها.

وجدتني لا اشبه احد سوى نفسي؛ لا احد يشبه معتقداتي الغريبة، لا احد يشبه طريقة تفكيري، روتيني، او حتى طريقة كلامي انا بمثابة اشياء لا تنتمي لأحد.

يظن البعض انها صفة جيّدة، ويطلق على نفسه ألقاباً غريبة مثل "عملة نادرة" او "الاخير من نوعه"، في حقيقة الامر هذا ليس شيئاً جيّداً إطلاقاً؛ الوحدة ليست جيّدة، لم ولن استطع العثور على شخص اشاركه افكاري، لم اجد شخصاً أستطيع التحدث معه دون تكلف، دائماً ما وجدت نفسي اتصنع الحديث والاهتمام فقط كي أكون معهم في نفس الصفحة، في معظم الأحيان أسمع صوتاً داخلي يقول: ما هذا الهراء الذي يتكلمون عنه؛ انها مضيعة للوقت فلنذهب من هنا يا رجل. لكنني امسك نفسي، ظاهرياً على الأقل.

لا اطلق على نفسي لقب "وحيد" أنا فقط لا أساوم مهما كانت الظروف؛ حتّى في وجه العاصفة انا لا اساوم؛ لانني انا جيش من رجل واحد وانا هو (رجل المطر).



يَوْمٌ جديد، صباح جديد، صفحة جديدة، يمكنك تسميته أيًا ما شئت؛ البشر بطبيعتهم يحبُّون النهار ويربطونه بالسعادة والخلاص والنور، بالنسبة لي الليل انا أَفْضَلُ الليل على النهار، لا سيَّما بعد ظهور الإنارات في المُدن، عزيزي ليلنا اصبح كنهارنا من ناحية الضوء والنور؛ لكن ما يُميِّز الليل هو الهدوء السكينة التي تَعُمُّ أرجاء المكان، ليس هناك صخب أو ضجة كالتي بالنهار؛ بينما يَغْطُّ الآخرون في نومهم ويملاً الهدوء المكان ابدأ انا بالكتابة.

"من السهل ان يتظاهر الإنسان بدافع ما يسمّى الشعور بالكرامة؛ بأنه جامد العواطف لا يلين أثناء النهار؛ أمّا في الليل فللمسألة وجه آخر".

الإقتباس من المؤلف الاميريكي {ارنست همينغواي}، يقدر الانسان على اخفاء مشاعره بالنهار بكل سهولة حتى انه يدعي عدم الاهتمام بهذه الامور؛ لكن بمجرد ان تغرب الشمس يبدأ بالارتباك، وينسى كلامه الذي قاله نهاراً، وتفيض مشاعره، ويبدأ بقول كلام ليس غريباً فقط؛ بل هو ايضاً منافٍ للمنطق، يمكن ان يقسم لمحبوته انه سوف يحرق العالم ان بكّت هي، يارجل ما ذنبنا نحن لنحترق بسبب بكاء محبوبتك و آخر يتمنى انه لم يُولد، و آخر يتمنى ان يولد بشخصٍ آخر و غيرهم كثير و كلّهم يشتركون في شيء واحد فقط؛ هو انعدام المنطق.

اذا سألتني عن تفسير لهذا التصرف؛ فلن تجد جواباً عندي، في اعتقادي ان هذا الشعور موجود لدى الإنسان بالفطرة، هل لأنه عاش في بطن امه في "ظلمات ثلاث" اول سنة من عمره؟ ربما، لا يستطيع الجزم بذلك، لكن الذي أستطيع قوله؛ أنَّ الانسان بالنهار شيء وبالليل شيءٌ يغايره.



الواحد والثلاثون من ديسمبر؛ الجوُّ بارد كتلك الليلة في التاسع من نفس الشهر ان لم يكن أبرد، انها عشيةُ السنة الجديدة اعتقد ان هذا اليوم مهم لبعض الأشخاص لكن ليس لي؛ بالنسبة لي هو فقط مجرد يوم عادي.

ما الذي تغيّر؟ أو بالأحرى ما الذي سوف يتغير غداً؟، من الذي خدع كل هؤلاء الناس وجعلهم يظنّون أنّ السنة الجديدة تعني أياماً أفضل أو أسوأ؟، كل تلك الأسئلة ظلت تراودني في فكري، لا أرى ان هناك شيئاً تغيّر غير رقمٍ وحيد في التقويم، هل هذا إنجازٌ يستحق الإحتفال؟، "بماذا يحتفلون؛ لأن كوكبهم أتمّ دورة كاملة حول الشمس!؛ أخبرتك انهم أغبياء للغاية".

عزيزي لا تدع أحداً يخدعك بأن التاريخ له علاقة بإنجازاتك، لا تكن مثل أولئك الذين يؤمنون بالأبراج السماوية، "لماذا انت غير محبوب؛ اسف لذلك لانني انا برج الثور" هل تظنّ ان برجك يحدد شخصيتك او مجريات حياتك، انت فقط تبحث عن عذر كصاحبك الذي يلعن سنةً معينة لانه لم يستطع إنجاز شيءٍ فيها، يا رجل لم نفسك وكفّ عن لوم الأرقام.

ها قد دق جرس الساعة الثانية عشر، وبدأت سنة جديدة كما يقولون، أرى الناس يحتفلون ويهتفون بعضهم البعض كأنهم قد ساهموا بشيء في دوران هذا الكوكب. لماذا انا ووسط هذا الكم الهائل من الغباء؟ هل انا العاقل الوحيد هنا؟.

لم أضع لائحة للأهداف التي أريد تحقيقها في هذه السنة كما لم أضع في السنة التي قبلها، لم أنجز شيئاً كبيراً السنة الماضية ولا أخطط لإنجاز شيءٍ هذه السنة أيضاً، لم ولن انتظر رسالة من شخصٍ أو اعتراف أو اعتذار أو رسالة معايدة، انا لا أهتم بتلك الأشياء، في نهاية اليوم استلقيت على سريرى وسألت الله ان يوفقني في ما تبقى لي من سنين قادمة.



"لا تقع ضحية المثالية المفرطة؛ وتعتقد بأن قول الحقيقة سوف يقربك من الناس، الناس تحب وتكافيء من يستطيع تخديرها بالأوهام، منذ القدم والبشر لا تعاقب إلا من يقول الحقيقة، إذا أردت البقاء مع الناس شاركها أوهامها؛ الحقيقة يقولها من يرغبون بالرحيل".

انا شخصياً أكره الناس الصرحاء جداً، انا لا اكره الصراحة بل بالعكس أجد أن الحقيقة تختصر كثير من الزمن والنقاشات الطويلة، لكن أكره الذين يذلون بها في أي مكان، أقدر صراحتك يا صديقي لكن هذا ليس مكانها، ليس كل شيء يُقال في الملاءة في نظري هذه من صفات الأطفال كل ما يخطر ببالهم يخرجونه بالسنتهم دون تقدير للموقف.

لا تسيء فهمي انا لا أطلب منك الكذب؛ فهو سيء ايضاً، ما أطلبه منك هو فقط عدم قول الحقيقة، امسك لسانك ولا تنطق بشيء حتى تدرس الوضع العام؛ لكي لا تسمع كلاماً لا يرضيك يا عزيزي.

الصراحة جيدة في مواقف وسيئة في أخرى، انت الحكم، اختز بعناية المواقف التي تُصارع بها من حولك، لا تعلّق في اشكال الخلق أبداً؛ هذه قاعدة، السمين بالفعل يعرف أنه سمين، القصير يعرف أنه قصير، الأصلع يعرف أنه أصلع، كلهم يعرفون ذلك عن انفسهم أتظن نفسك اكتشفت الذرة بإخبارك لهم ما يعلموه بالفعل؟.

اسبح مع التيار دائماً وتغاضى عن الناس لكي يتغاضوا عنك، هم ليسوا مثاليين؛ وانت حتماً لست كذلك، كلنا بنا عيوب لكن ستر الله أوسع، الحقيقة جميلة في زمنها؛ لكن الصمت أجمل في كل الأزمنة، وانا أتفق مع {فريدريك نيتشة} الذي اقتبست منه في بداية كلامي أن الحقيقة يقولها من يرغبون بالرحيل.



# المجلد الثالث

*sayed khalid*



الثاني من يناير 1986، بَرْدُ الشتاء في أشدّه، حتى بعد ارتدائي معطف و وشاح يمكنني الشعور بالبرد يتخلل عظامي، لا بأس سأقوم بإعداد كوب من القهوة الساخنة وأشعل نار الموقد وابدأ الكتابة لربما تنسيني البرد.

(لا تحكم على الكتاب من عنوانه)، (لا يهم الشكل الخارجي المهم ما في الداخل)، عزيزي القارئ اعتقد انك سمعت هذه الجملة كثيراً، ربما أكثر من مرة، لا أعرف بشأنك؛ لكن انا لا أصدق هذه الجملة، في اعتقادي انا أرى أنّها لا تُمثل الواقع، هي فقط افتراضات لما يجب ان يكون عليه لكنك لا تجدها في الحقيقة على الإطلاق، يقول لك لا يهم الشكل الخارجي وهو اذا رأى رجلاً أسوداً ابتعد عنه، ويقول لك لا تحكم من العنوان و اذا رأى امرأة تلبس لباساً معيناً يفترض انها تفعل الفواحش، لماذا لا تُطبّقون تلك القواعد المثالية التي تدّعونها، انا لا ألوم أحد، انا ألوم المجتمع بأسره، يقولون تلك الجملة أمامك و يرفعون تلك الشعارات ثم يُطبّقون عكسها تماماً في وجهك لسنا مثاليين فلماذا ندعي ذلك؟.

من الواضح أنّ هناك قواعد و معايير معينة لتطبيق تلك الشعارات، فهي لا تُطبّق مطلقاً ولا تسري في كل الأشياء، يقول الكاتب {فريدريك نيتشة}: "اذا قتلت صرصوراً فأنت بطل، و اذا قتلت فراشة فأنت شرّير!". الظاهر أنّ الأخلاق لها معايير جمالية، فقط لأن الصرصور شكله من الخارج مريع لم يهتموا بما في داخله و حكموا عليه من شكله، و فقط لأن الفراشة جميلة سيّروا عليها القواعد، ما الفرق بينهم، أليس كلاهما حشرات؟، لا تنخدع بتلك الشعارات الواهية الناس لا يهتمون بما في داخلك و الناس تحكم على الكتاب من غلافه.



السادس من يوليو 1986، توقفت عن الكتابة بضعة أشهر حسناً ليست بضعة أشهر بل نصف سنة تقريباً؛ انشغلت ببعض الأشياء، أنا لا أكتب للتكسب وليس عليّ ضغوطات لكي أسرع في إنهاء هذا الكتاب، في غالب الأمر أنا أكتب في الأوقات المريحة بالنسبة لي؛ أكتب في الصباح الباكر، أو في الليل الدامس، أفضل الهدوء والكتابة في الظلام.

الاختلاف ليس دائماً شيئاً جميلاً، ليس من الجيد أن تكون دائماً متميزاً عن غيرك من الناس، بعض الأشياء يجب عليك أن تكون فيها مثل مَنْ حولك، يقول الفيلسوف والكاتب الألماني {آرثر شوبنهاور}: "أكثر ما يكرهه القطيع هو إنسان يفكر بشكل مختلف، أنهم لا يكرهون رأيه في الحقيقة؛ ولكن يكرهون جرأة هذا الفرد على امتلاك الشجاعة للتفكير بنفسه ليكون مختلفاً".

لا بأس في السير مع القطيع في بعض الأحيان، تعلم التواضع والاندماج مع محيطك، لا تظن أنك دائماً أحسن من غيرك وإذا ظننت ذلك فتذكّر أنّ هنالك دوماً شخصاً أحسن منك، كن في معظم وقتك مع الجماعة، قلت معظمه وليس كله لأنه أحياناً يجب عليك أن تُخالف كي لا تلقى نفس مصير الجماعة في عالم الحيوان؛ الجاموس الذي يسير مع القطيع ينجو بحياته، والذي يفارق القطيع تفترسه الأسود، ليس من الذكاء أو الحكمة الذهاب في طريق عكس الجماعة، اسبح مع التيار يا صديقي أنت لست أذكى من غيرك، تذكّر أنه لا يمكن لمعدوم الذكاء أن يراه، لا أقول لك لا تلمع و تتميز عن غيرك مطلقاً، ما أقوله هو أن تعتدل في ذلك، فالشمس رغم بريقها ولعانها لكن هي تحرق في نفسها، لا تكن شمساً تحرق نفسك والآخرين، كن نجماً ساطعاً وسط النجوم.



يمكنك التظاهر بعدم الإهتمام، يمكنك الظهور بصورة البطل الخارق الذي لا يؤثر به أي شيء، كل هذا مجرد ادعاء، أنت تهتم بأراء الناس وانا أهتم بها وكلنا كذلك؛ الفرق بين البشر يتمثل في مستويات اظهار ذلك.

كما ذكرت آنفاً لا يوجد أحد جامد المشاعر، كلنا نتأثر بالمحيط الذي حولنا لكن بدرجات مختلفة فقط، يمكنك التظاهر بعدم الإهتمام بأراء الناس حولك، لكن أنت تعلم يقيناً أن هذا يؤثر فيك من الداخل، أنت تدّعي قوة لا تملكها لا أحد يملكها، أنت لست صخرة كي لا تحس بأي شيء، يمكنك القول أنك لا تهتم بما يظنه الناس عن ملابسك أو طريقة كلامك أو منظرك، أنت فقط تقولها بلسانك والقول أسهل من الفعل، اذا علّق أحد على قميصك مثلاً وقال لك انه يبدو جيّداً عليك سوف تنفجر فرحاً خصوصاً اذا كان هذا الشخص من الجنس المغاير؛ أمّا اذا كان التعليق سلبياً تتغيّر ملامحك وتصرّح انك لا تهتم، يمكن ألا يظهر ذلك في وجهك لكن هذا التعليق سوف يتردّد في ذاكرتك ومن المرجح أن تكره ذاك القميص بالتحديد بسبب مجرد تعليق بسيط أنت تظنّ انك لا تهتم به.

بالنسبة لي انا فمستويات الإهتمام لدي قليلة، لا أحب ان أظهر أنني اهتم او لا للناس حولي، انا بارع جداً في ذلك، يمكنني ان اقول لك لا أهتم بشيء مُعيّن وانا جامد الوجه، لكن ذلك لا يعني انني لا أهتمّ فعلاً، انا فقط جيّد في إخفاء ذلك، لا أحد يعلم إهتماماتي الفعلية، لا أحبّ فكرة مشاركتها مع الآخرين لا أحد يستطيع معرفة شعوري أو الاشياء التي أحبها أو أكرهها لا أفتخر بذلك انا فقط تعودت عدم مشاركة مشاكلني أو ما أشعر به للناس لا تستطيع رؤية إهتماماتي الفعلية؛ أنت فقط ترى ما اريدك أنت تراه مني



انتهى فصل الشتاء، حلَّ الخريف مبكراً هذه السنة، بالنسبة لي أفضل الخريف أكثر، أجْدُ الراحة تحت المطر، أحبُّ رائحة الأرض المبلولة بعد هطول المطر، دائماً ما يُبهرني لمعان البرق يبدو كأنها السماء كلها تضيء من حولك، الجو الرطب وصوت قطرات المطر على سطح الأرض ورائحة الشجر ونسيم الرياح، حتماً الخريف فصلٌ للكتابة.

يتغاضى البشر عن النظر الى الأشياء التي لا يودّون رؤيتها، أشياء كثيرة تحدث من حولنا لكن نحن اخترنا عدم رؤيتها وبالتالي انعدام وجودها، هل هذا يعني أنّها غير موجودة بالفعل؟ لا؛ هي موجودة سواء نظرنا أو لم ننظر اليها، بنفس الكيفية نحن نركّز على الأشياء التي يجب علينا ألا ننظر اليها ونهتم بها، نحن ندقق النظر في الأشياء الصغيرة والسلبية، نحن نغضّ النظر عن الحكومات التي لم توفّر أبسط سبل العيش لمواطنيها ونلوم السارقين لحاجة لهم، لا أقصد هنا السارق الذي مهنته الأساسية سرقة تعب الآخرين (سواء كان ذلك مادياً أو فكرياً أو حتّى معنوياً)، لا فذلك مذموم ويستحق اللوم والعقاب، انا أتكلّم عن الرجل الذي لم يستطع توفير طعام هذا اليوم لعائلته، لماذا نلومه هو ولا نلوم المسبب في فعلته هذه هو مُخطيء نعم؛ لكن هناك من هو أكثر خطاً منه.

أقول: تَرَكِي الباب مفتوحاً سبب لدخول السارق للمنزل؛ لكنه ليس مبرراً للسرقة. هو مُخطيءٌ بالسرقة لكن الخطأ في الأصل يرجع لي؛ لو كنت أغلقتُ الأبواب والنوافذ لما دخل ذلك اللص من البداية، نحن دائماً نغضّ النظر عن الأسباب الرئيسية للأشياء إمّا لخوفنا منها أو عدم قدرتنا للوصول اليها أو غير ذلك، نحن الذين نعاقب الضعيف المسكين اذا سرق لياكل، واذا سرق الغنيّ ذو النفوذ غضضنا البصر عنه.



صباح الخير، لا أعتقد ان الجو الذي اشعر به خريف، هذا أقرب للصيف منه الى الخريف، هل هذا صباحٌ خيرٍ اذاً؟ لا أعلم، كل الدلائل تشير على أنه ليس كذلك، ليس من الصحيح تحديد اذا ما كان هذا اليوم جميلاً ام لا من الصباح فقط، لكن بالنسبة لي الصباح مهم جداً، اذا كان صباحي جيداً ففي الغالب سيكون باقي اليوم كذلك، والعكس بالعكس.

في بعض الأحيان أشعر بأنني غريب عن من حولي، عن الذين من المفترض ان أكون مثلهم، انا أقصد الناس في فئتي العمرية او زملاء الدراسة او أيّ يكن، انا فقط لست مثلهم، أعتقد أن عمر عقلي اكبر من عمري الفعلي، عقلياً انا أكبر مما أبدو عليه، تصرفاتي لا تشبه الناس من حولي، وأرى تصرفاتهم فيها نوع من عدم المسؤولية، مما يبدولي ولأصدقائي انني شاب في العشرين من عمره بعقل رجل في الستين منه.

ربما في الحقيقة انا لست مثلهم لانني أسوء، لكن انا لا أرى ذلك في نفسي، كلما تقدّم المرء بالعمر أصبح اكثر حكمة وحلم بالنسبة لي هذا شيءٌ جيّد، ليس لدي طيش الشباب واندفاعهم الغير منطقي، لا أحب الحفلات او الصخب، أفضل الأماكن الأكثر هدوءاً، لست منجرفاً وراء قصص الحب والارتباط وصادقة النساء، أفضل استثمار وقتي في أشياء أفضل من ذلك، لا أحب فكرة صرف أموالي في أمور تافهة مثل السينما او الرفاهيات الأخرى، اذا وجدت البديل في المنزل اكتفيت بذلك، أرى أن من حولي مجرد مراهقين وانا العاقل الوحيد بينهم.

لا أعلم هل انا الكلمة الشاذة؟ هل انا أكبر من غيري أم من غيري هم الأصغر مني؟ لا أحتاج الى جواب، لا أحد يستطيع تغيير وجهة نظري، انا لا افتخر بنفسي لكن انا فقط مجرد: "فيلسوفٍ أرى أن الجميع هنا يتقاتلون على عدمٍ وهم عدمٌ".



السادس من أغسطس العام 1986 يبدو يوماً عادياً كغيره من الأيام الأخرى، ربما ما يُميزه ان الأجواء الخريفية بدأت بإحتلال المحيط، أصبحنا نادراً ما نرى الشمس أو ضوءها، انا افضل الاجواء التي مثل هذه فهي تبعث للاسترخاء والذهاب للخارج بالرغم من انني أفضل النوم على التنزه.

أتعلم ما الشيء الغير مميّز أيضاً؟ البشر، ليسوا مميزين على الإطلاق، نحن كغيرنا من المخلوقات نأكل ونشرب ونتكاثر ونموت لا شيء مميّز في ذلك، نعم أعلم أن الله منّ علينا بالعقل والتفكير؛ لكن يارجل معظم البشر في هذا الزمن لا يفكرون، حتّى وان فكروا يستعملون عقولهم في أشياء غبية او لا فائدة منها مثل طريقة زيادة حجم الذاكرة عبر تنزيل ملفٍ يعطيك مساحة أكبر، في نظري يمكن أن نساوي بين الذي لا يمتلك عقلاً والذي لا يُحسن استخدامه؛ فمن الممكن ان امتلك سيارة بمليون دولار لكن انا لا أعرف القيادة فما الفائدة اذاً من امتلاكها؟ هي فقط موجودة لكن دون استخدام.

الانسان بطبيعته يظنّ نفسه متميّزاً عن غيره فطرةً، حتّى وان لم يكن كذلك، مثل الذي يعامل نفسه في عيد ميلاده كأنه محور الكون، وكأن هذا اليوم الذي وُلد فيه يومه وحده ويجب على الجميع ان يفعل ذلك أيضاً، يارجل العالم اليوم به أكثر من عشرة مليارات نسمة أتعلم كم شخصاً وُلد في نفس يومك؟ انت لست متميّزاً ولا يوم ميلادك كذلك فلا تُعامل نفسك كذلك، ثمّ أليس من الغباء ان يحتفل المرء بأنه قد اقترب سنةً من موعد موته؟ هذا لا يدعو للاحتفال والفرح بل العكس، انا أرى ان من المفترض ان يحتفل الشخص بإنجازاته فقط، وان كان هناك شخصٌ يجب ان يحتفل بيوم مولدك فهما والداك لأنهما اللذان أحضراك لهذا العالم وانت لم تفعل شيئاً سوى البكاء "لو كانت الحياة فيلماً لظنّ الجميع انه البطل الرئيسي".



# المجلد الرابع<sup>١٣</sup>



مرت فترة طويلة منذ آخر مرة كتبت فيها، أعلم أنها بضعة أشهر فقط؛ لكن تغيّر الكثير فيها، كل يوم يمر علي يُغيّر شيئاً فيّ، أهلاً لأفضل أو الأسوأ لكن في غالب الأمر أنا فقط ازداد نُضجاً، تغيّرت نظرتي لكثير من الأشياء، لم تتغير طريقة تفكيري كثيراً لكن أدركت أشياء لم أكن أدركها قبلاً، أنا اليوم لست أنا قبل ثلاثة أشهر؛ أنا اليوم لست أنا بالأمس.

ذكرتُ من قبل أنني لا أحبّ مشاركة مشاكلي مع الآخرين وما أزال كذلك، لكن في الآونة الأخيرة ازدادت كمية المشاكل التي يجب علي أن أخفيها، أنا لا أتذمر أو أشكي هنا، أنا فقط أوضح أن مهمتي باتت أصعب، لا بأس أنا متعودٌ على ذلك؛ أنا متعودٌ على التظاهر أن كل شيءٍ على ما يرام، مع أنه ليس كذلك، دائماً ما أحاول اقناع نفسي أنني بخير كاذباً على نفسي والآخرين. أعلم ما الشيء الأكثر ألماً من التظاهر أنك بخير؟ أن يصدّق الناس ذلك؛ أن يظنّوا فعلاً أنك بخير بينما أنت لست كذلك، لا ترى ذلك في ملامحي ولا تصرفاتي لكن أنا بالفعل مُنهك، لقد تعبْتُ من التمثيل، "ألا يوجد أحد يقف معي ويسندني؟ دائماً ما يراودني هذا السؤال والاجابة دائماً "لا"، لا يوجد أحد، أنا وحيد في وسط أصدقائي وعائلتي، لم ولن يستطيع أحد فهم مشاعري واضطراباتي، أكرر لا أحد، صراحةً أفضل أن أعيش وحيداً على أن أشارك همومي مع الناس، أعلم تماماً أن البوح بما في داخلك يزيل حملاً كبيراً من عاتقك، لكن لا أضن أن هناك أحدٌ مستعدٌ للاستماع لمشاكلي وأنا لست مُسوّعاً لها أحد.



فقدت الشغف، لا أعلم ماذا أكتب؛ هل ازدياد مشاكلي أثر علي؟  
لا أعتقد فأنا دائماً ما أجد راحتي عندما أكتب، لا أعلم من يقرأ  
هذا الكتاب الآن؛ لكن أتمنى ان تفهم معاني كلماتي ومقاصدي  
وان تجد راحتك في قراءة هذا الكتاب.

الوحدة شيءٌ مخيفٌ للغاية، لا أعلم ما رأيك عنها لكنني أكره  
الوحدة وفي نفس الوقت أحبّها؛ قبل ان تنتقدني دعني أوضح  
لك ما أقصده؛ الوحدة في حدّ ذاتها شيءٌ طبيعي ومن الممكن  
ان نقول انها شيءٌ ضروري؛ احياناً أنا فقط أحتاج للتوحد بنفسي  
،أحتاج ان أكون جالساً بمفردي دون أن يزعجني أيُّ أحد، في  
وحدتي هذه يمكنني النوم، او التفكير، او الانغماس في  
مخيلتي والغوص في بحر خيالي، يمكنني اخذ قيلولة، او  
التخطيط لشيء قادم، يمكنني العمل وانجاز ما عليّ من  
مهام، يمكنني الكتابة والتمتّع بها؛ خلاصة الأمر يمكنني  
فعل كثير من الأشياء وحدي.

لا أعلم هل ازداد البشر صخباً أم انا الذي ازدت هدوءاً، لا استطيع  
التفكير في وسط هذا الضجيج، لهذا انا لا استلطف العمل  
الجماعي، انا أفضل العمل الفردي أكثر؛ الناس بالخارج صاخبون  
للغاية وانا رجلٌ أحب الهدوء، بالنسبة لي أفضل ان اقوم بمهام  
مجموعة كاملة وحدي، لا أحبّ المشاركة لا أثق بمن حولي انا  
فقط أثق بنفسي؛ لأنني أعلم جيّداً أنهم سوف يخذلونني وانا  
لا أملك الوقت أو الطاقة لأيّ خذلان من أيّ أحد.



أنت لا تعرف أجمل أيام حياتك وانت تعيشها؛ تظنّها فترة عادية أو حتّى سيّئة؛ ليمرّ عمرك وانت تنتظرها، ثم تواجه أحداث سيّئة أو تصاب بالمرض أو تفارق أشخاصاً تحبّهم، الى أن تكتشف أن أفضل فترة في حياتك لن تأتي لأنها أتت بالفعل ورحلت.

حينها فقط تُدرك أن أعظم خطيئة ارتكبتها في حياتك لم تكن الخيانة أو الكذب بل هي غفَلتَ عن الأيام الجيدة بينما كنت تعيشها؛ وحينها لن ينفع الندم.

يقول (سومرست موم): "من أكبر أخطائي أنّي كنتُ أمر على لحظات الفرح مروراً عابراً، وأعيش الحزن بكل مشاعري". نحن بطبيعتنا طماعون، لا شيء يكفي جوعنا أو يملأ عيننا، مهما أنعم الله علينا بالنعم تجدنا نجحدها وننظر الى غيرنا وننسى ما عندنا، كلنا نتذمّر ونصيح على أشياء تافهة، أحدهم يبكي لأن عشيقته خانتة، والآخر يبكي خشية من الله تعالى أحدهم يفرح لأنّه وجد عملاً اليوم يستطيع به اطعام أهله ليوم واحد فقط، والآخر غاضب لأنّه خسر مليون دولار من ثروته التي تُقدّر بـ مليار دولار.

أن تنتظر يوماً بعينه لتقول أنّه أفضل أيام حياتك فكرة حمقاء عليك أن تعيش كل لحظة فرح في حياتك كأنها أفضل لحظة لا تنتظر أن تأتيك الأخبار الجيدة كلها في يوم واحد فقط لكي تُسمّيه "أفضل يوم في حياتي"، يا صديقي على عكس المصائب الفرص لا تأتي إلاّ فرادى فاغتنمها. لا تضيّع عمرك في انتظار اللحظة المناسبة، لأنّها ربما لن تأتي، يمكن أن تموت قبل أن تأتيك لحظتك المنشودة، لكن شكّل وحرّف أي لحظة كي تكون مناسبة لك، كل لحظة كنت تظن انها لا تستحق الفرح سيأتي يومٌ وتندم عليها.



صباح الخير كالعادة او كغير العادة؛ اعتقد ان هذا يعتمد عليك عزيزي القارئ هل انت متعودٌ على تحية الصباح؟ هل هناك شخصٌ يصبح عليك بداية كل يوم؟ ان كانت اجابتك نعم، فهذا من حسن حظك، وان كانت لا فصباح الخير عليك مني انا ارجو ان يكون يومك جيّداً.

في دائرة معارفٍ يُطلقون علي لقب المتشائم أو السلبي، على حدّ قولهم انا متشائم أكثر من اللازم، في الحقيقة انا أيضاً اعتقد ذلك لكن عكس الناس؛ انا اراها صفة جيّدة، شخصياً أرى ان اكبر عدو لدى الانسان هو نفسه، اذا استطاع الانسان منع نفسه فسوف يحجب عن نفسه كثير من المشاكل، انا عدوّ للمثالية المفرطة، انا ضدّ التفائل الزائد و غير المنطقي، دائماً ما ما أقيس قراراتي بعقلي أو لا ثم قلبي، وفي غالب الأحيان أتخذ القرار حسب العقل و المنطق، أجل أعلم أنّ في بعض الأحيان من الأفضل ان يتّبع الانسان قلبه أو بما يسمونه الحدس، حسناً هذا ليس الحال في كل الاوقات، لا تستطيع الاعتماد على حدسك في كل المواقف، في بعض الأحيان تحتاج للتفكير المكثف قبل اتّخاذ قرارٍ مُعيّن، العشوائية والاعتماد على الحظ لا تشبهني وانا لا أشبهها بشيء.

قد تختلف معي في الرأي، قد تظنّ ان التفائل المفرط يزيد من احتمالية حدوث الشيء، لا اختلف معك كثيراً، قد ورد عن الرسول صلّى الله عليه وسلم "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: [ لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين، في حب الدنيا وطول الأمل]. يجب علينا أن نحسن الظنّ بالله ولا نتوقع الاشياء قبل حدوثها، انا لا أتشائم، انا فقط أقدر المواقف حسب المعطيات، في نهاية الأمر كن انت ولا تكن مثلي انا.



مجتمعنا اليوم اصبح عبارة عن كومة من النفاق، الناس أصبحوا يدعون في كل شيء، المنصب، المستوى التعليمي، الوضع الاقتصادي، وتقريباً كل شيء، لا أعلم من يجبر هؤلاء البشر على بذل الوقت والتفكير لكي يخرجوا بخطة محكمة حتى لا يكشف ادعائهم، أعتقد انه المجتمع، هو الذي يطالب الناس بأشياء ومظاهر فوق قدرتهم، ان لم تلبس هذه الماركة فانت لست غنياً، ان لم تأكل في ذاك المطعم فأنت لست راقياً؛ حسناً انا بالفعل لست غنياً أو راقياً لماذا عليّ الكذب حول هذا؟ ادعائي انني غني أو راقى سيزيد الوضع سوءاً فقط. لربما اذا استثمرت الوقت الذي تقضيه في التخطيط لكيف تبدو ثرياً؛ كان من الممكن ان تصبح ثرياً بالفعل!.

الشباب يبحث عن كائن جميل يفتخر به أمام الرفاق، والفتاة تفعل نفس الشيء. المهم أن يكون حفل الزفاف مُبهراً وأن يرقصا ببراعة، وأن يبدو هو وفارساً وتبدو هي أميرة أحلام. لا أحد يفكر في الخطوات التالية ولا المسؤوليات القادمة. عرفتُ رجالاً أنهارت أحلامهم عندما راحت الزوجة تقيء بسبب الحمل، وعرفت نساء تحطمت حياتهن لأن الزوج يريد أن يكون الطعام ساخناً عندما يعود ليلاً. ثم تتزايد المسؤوليات والمشاكل، ويكتشف الشابان أن الأمر لا يتعلق برحلة سفاري في البجراوية فقط؛ بل وراءه جبل من المسؤوليات المرهقة. لهذا يتم الطلاق في زيجات اليوم أسرع من الوقت الذي تشتري فيه قطاً.

كلمات أحمد توفيق تلخص عالمنا هذا اليوم، نحن الذين نضع معايير فوق طاقتنا ونحن الذين نرفع شأن أشخاص مكانهم تحت الأرجل، لماذا يجب على الجميع لعب دور في هذه المسرحية لماذا لا يمكننا فقط ان نُمثل أنفسنا؟!.



السابع من أغسطس 1988، الجوّ غائمٌ اليوم ، الريح عاصفة  
والسُحب سوداءُ تُنذر بالمطر ، دائماً ما يُشعرني الطقس  
الممطر بالراحة والاسترخاء "كما ذكرتُ آنفاً"، والإلهام  
للكتابة، أعتقد ان معظم الناس يشعرون بالجفاف العاطفي في  
مثل هكذا طقس انا اكبر من ذلك ، انا اكبرُ من ان تفيض  
مشاعري بمجرد ان السماء أمطرت فقط.

انا شخص لا يُكثر من الاهتمام بالأشياء، او المواقف، او حتى  
الناس، في غالب الأمر أتغاضى النظر عن كل شيءٍ لا يعينني او  
يؤثر فيّ بشكل مباشر او غير مباشر، لا تستطيع ملاحظة  
ذلك في تصرفاتي او ملامحي؛ لأنني تعودت على ذلك حتى  
صار جزءاً من هويّتي، دائماً ما أراعي مشاعر من حولي، اذا  
رأيتك تفعل شيئاً وتمنيت ان لا يراك أحد فانا أعمى، واذا  
ذلّ لسانك وقلت كلاماً لا تريدُ قوله ولا ان يسمعه احد كنتُ انا  
أصمّاً، أعلمُ تماماً شعور أن يذكّر الناس ما لا تريد ذكره أعلم  
كمية الألم التي تشعر بها وأعلم انك مضطّر أن تمثّل وكأن  
الموضوع لا يفرق معاك بشيء؛ لكن وكما تقول الحكمة:  
"ان كان بيتك من زجاج فلا ترمي الناس بالحجارة".

انا كثير التغافل عن ما حولي وانا عليم به، ربما تقول في نفسك  
انه يتغافل لانه يراعي لمشاعر من حوله لكن الحقيقة هي  
ان ليس كل التغافل لإبقاء الود.. هناك تغافلاً لإبقاء الحسنات،  
وإبقاء الكرامة، وإبقاء ماء الوجه، والأهم إبقاء الطاقة.. وهناك  
تغافلاً لغياب التقدير، وهناك تغافلاً لانعدام الحوار، وهناك  
تغافلاً لقلّة الحيلة، وهناك تغافلاً لضياع ما قد يُقال، وهناك  
تغافلاً لانعدام قيمة العتاب، وهناك تغافلاً لأن التدقيق في  
أفعال البعض يؤذي، وهناك تغافلاً حتى نشكو بثنا وحزننا  
إلى الله. وهناك تغافلٌ لأنني بالفعل لا أهتم.



البشر كائنات غريبة فعلاً، دائماً ما يفعلون ويختارون أشياء غير منطقية ولا فائدة منها، لنكن صريحين، نحن لا نحب تلقي اللوم، سواء كنّا أو لم نكن السبب، في غالب الأمر نحن لا نهتم بالمشكلة بقدر اهتمامنا بمن نُلقي اللوم على هذه المشكلة، لا فكرة لديّ بما يساعد هذا في حلّ المشكلة لكن اعلم ان هذا ما يفعله الناس عند حصول مُعضلة.

أول شيءٍ نفعله هو ايجاد شخص لا لقاء اللوم عليه، ونحن بالفعل نعلم قطعاً أن هذا لن يساعد في حل المشكلة، في نظري هذا فقط تهرّب من المسؤولية والذنب، عندما تلقي اللوم على شخص آخر تشعر بأنك تحررت من الذنب وان المشكلة أصبحت لا تعنيك كثيراً سواء كان من القيت عليه اللوم هو السبب فعلاً أم لا، في الحقيقة هذا غير منطقي؛ لأنّ المشكلة ما تزال موجودة، اذا فرضنا ان هناك منزلاً لزوجان نشب فيه حريق وجاءت الشرطة وسألت كلاهما ما سبب الحريق فقال الزوج ان الزوجة هي السبب لانها دائماً ما تنسى الموقد مشتعلاً، وهي تقول انه هو السبب لأنه يُلقي بالسجائر داخل المنزل دون اطفائها، هما مشغولان بالقاء اللوم والتخلص من المسؤولية والاحساس بالذنب لكنّ المنزل سيظل محترقاً سواء كان السبب الزوج او الزوجة، ما أريد ان اقله هو أن اللوم والعتاب لا يُصلحان أي شيء انت فقط تريد التخفيف على نفسك بالتثقيب على شخص آخر بحمل ما أُبَيّت ان تحمله انت من الذنب، انا شخصياً أفضل ان أتحمّل اللوم كله وحدي، لا أعلم لماذا لكن لا أحب الازعاج في مثل هذه الأمور التافهة، تعتقد أنّي انا المّلام والذنب كله ذنبي؟؛ "انت على حق" هذا كل ما ستسمعه مني في تلك اللحظة، لأنني بالفعل أكون قد بدأت في البحث عن حلّ لتلك المشكلة في عقلي وانت لا تزال تبحث عن شخص تلقي اللوم عليه!



صباح الخير، أو مساء الخير؛ أيًا كان الوقت الذي تقرأ فيه الكتاب أفضل أن تقرأ صفحاتي في الليل، أو في الظلام على الأقل، الإنسان يشعر بالوحشة في ظلام الليل، أعتقد أن القراءة تخفف من وطء تلك المشاعر، الصباح جميل نعم أعلم؛ لكن بالنسبة لي اليوم يبدأ بعد غروب الشمس.

في وصفٍ دقيق ومُبهر للخير والشر الموجود داخل قلوب البشر و حقيقة الإنسان التي اختار إخفاءها من الناس؛ يقول الكاتب البرتغالي (أفونسو كروش):  
"لا أستطيع أن أقول عن إنسان أنه طيب إلا إذا كان لديه القدرة على فعل الشر ولم يفعل؛ يجب أن يكون لديك الخيارات لتعرف حقاً من أنت".

وفي نفس العنوان يقول الكاتب (فريدريك نيتشة):  
"لطالما ضحكت من الضعفاء الضيّن يظنون أنفسهم أختيار فقط لأن ليس لديهم مخالب".

جُلّ البشر يعتقدون أنهم طيبون وأن لا حَوْلَ لهم، وبنفس الطريقة يعتقدون ان العالم سيء والبشر الذين من حولهم هم الظالمون حتى ولو كانوا يعلمون بداخلهم أنه ذلك ليس صحيحاً البتّة، لكن طبيعة الإنسان كما ذكرت سابقاً أنه لا يحب القاء اللوم على نفسه، اذا سألت أعظم ديكتاتور في العالم سيخبرك انه قلبه أبيض وان العالم أساء فهمه و كل ما أراد هو الإصلاح واذا سألته عن جرائمه سيعتبرها مجرد ذلّات بسيطة لا يستحق أن يحاسب عليها، نحن نظنّ بأنفسنا خيراً ونظنّ بالآخرين عكس ذلك تماماً، لا يوجد أشخاص أختيار وآخرون أشرار، بالنسبة لي هناك أشخاص سيئون وأشخاص أقلّ سوءاً. لنواجه الأمر انت لست صالحاً؛ انت فقط لم تجد الفرصة لتكون سيئاً حتى الآن!



مرّت فترة طويلة منذ آخر مرة أخبرتكم فيها بحال الجو أليس كذلك؟، حسناً أنه شهريناير من السنة 1989م لذا يمكنك القول ان الأجواء لا تزال باردة جداً لذا لا تراني أكتب عن الجو كثيراً هذه الصفحات.

"الحياة لا تُعطي دروساً مجانية لأحد؛ فحين أقول أنّ الحياة علمتني تأكد أنني دفعت الثمن".

دائماً ما أشعر بالانزعاج عندما يظن الناس أن الذي وصلت اليه من الخبرة والانجازات هو مجرد صدفة أو قد تم تسليمه لي في صحنٍ من فضة، والحقيقة هي عكس ذلك تماماً كما ذكرت في صفحات سابقة، الأشياء والتفاصيل التي تراها تافهة أكون قد عملتُ بجدٍّ حتّى تكون في أفضل صورة أو على الأقل في صورة جيّدة، انا لا أقول أنني قد تعبت في هذا العمل أو غيره من الأعمال، لكن لنكن صادقين؛ معظمنا يفعل أشياء معينة فقط ليستمتع بمدح الناس من حوله ليس لأجل أن تُعم الفائدة او يستفيد هو لنفسه، من الممكن أن يستفيد الناس من حوله لكن هذا هدف ثانوي، بالنسبة لمعظمنا؛ تلقّي المدح والكلام المعسول هو الهدف الرئيسي، وما غير ذلك من تبعات هي مجرد أهداف ثانوية فقط.

ما أودُّ قوله هو أنه لا يهم السبب طالما تُعم الفائدة ولا ضرر في ان تمدح صديقك في إنجاز فعله، حتّى ولو كان صغيراً في نظرك، حتّى ولو كان لا يستحق الثناء، على الاقل بادربالكلمة الطيبة ولا تحبطه فانت لا تعلم كمية المصاعب التي مرّ بها لكي يُنجز أيّاً كان الذي أنجزه، ولي أن أضيف ان معظم الذين يستصغرون أعمال الآخرين لا يستطيعون فعل نصفها حتّى، أختتم هذا الفصل بهذا القول وانا اقتبس من نفسي: ما أفعله ليس سهلاً؛ انا فقط جيّدٌ في ذلك للدرجة التي تجعله يبدو سهلاً بالنسبة لك".



## الخاتمة:

بما أن الكتاب لا يحتوي على مقدمة فعليّة فمن المتوقع ألا يحتوي على خاتمة أيضاً، فقط لدي بعض التنويّهات التي يجب علي ذكرها لتأخذ الأمور نصابها:

- كل الضمائر وأسماء الإشارة المذكورة في الكتاب ( انا - هو - هي صديقي ...) عبارة عن أسماء تخيلية لا وجود لها في الحقيقة ولا تشير لأي أحدٍ كان، الضمير الوحيد الحقيقي هو "انت" فعندما اذكره فالمقصود هو انت عزيزي القاريء.

- جميع الأحداث والقصص والتواريخ ايضاً عبارة عن خيال (عدا الحقائق العلمية والتاريخية) وأي تشابه بينها وبين الواقع مجرد صدفة لا غير.

- لم تتم مراجعة الكتاب حتى الآن فمن المتوقع ان تجد بعض الأخطاء الإملائية والتحريرية، ومن المرجح ان تكون هناك طبعة مُنقّحة ثانية تُعدّل الأخطاء.

- ربما لا حظت أن الصفحات ليس لها أرقام؛ حسناً هذا عن قصد والفكرة وراء ذلك أردت أن أقول أنه ليس مثل الكتب العادية، فأني صفحة فيه لا ترتبط بالتي قبلها ولا التي بعدها، يمكنك فتح الكتاب في أي صفحة عشوائياً وستجد حكاية جديدة.

- معظم الصفحات تبدأ بذكر حال الطقس في المقدمة، ايضاً هذا مقصود، ويسمى هذا في الوسط الكتابي بـ "سمة الكتاب" او الصفة المميزه له من بين الكتب الأخرى؛ فسمّة هذا الكتاب هو الطقس و وصفه.

أخيراً كتبت هذا الكتاب في أيام متفرقة وأوقات مختلفة، أكتب في وقت الفجر في الغالب فربما تشعر ببعض السوداوية في الكتاب، كان من المتوقع أن يكون اسم هذا الكتاب "رجل المطر" لكن تغير الاسم للذي تراه الآن لأن هذا حقيقة الذي كنت أفعله أرجو أن تستمتع بقراءة هذا الكتاب كما استمتعت انا بكتابته كنت معكم انا سيد خالد و انا كنتُ "فقط اكتب".